الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
مديرية الآثار العامة
بغـــداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧٢ | المجلد الثامن والعشرون

ثبت الجزء

الصفحة

أ	تقديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	ثبت بسادة الحضر وملوكها	فؤاد سفر
١٩	الحضر ـ تنقيبات في مجموعة من المقابر (١٩٧٠ ـ ١٩٧١)	الدكتور واثق الصالحي
٣١	متى وكيف ظهر الانسان العاقل ؟	الدكتور عبدالجليل جواد
٥٣	أعراس الاله تموز ومأساته في طقوس الزواج المقدس والحزن الجماعي	الدكتور فاضل عبدالواحد
٨٧	الطوفان في المصادر السومرية والبابلية والعبرانية والآشورية	فؤاد جميل
١١٣	مجموعة دنانير أموية ـ كنز أبي صيدا	الدكتور عيسى سلمان
١٢١	مئذنة الكفل	عطا الحديثي
١٣٣	المسجد الاقصى بالحرم الشريف ببيت المقدس	الدكتور غازي رجب محمد
١٥٣	دراسة تحليلية واحصائية للالقاب الاسلامية (٢)	الدكتور محمد باقر الحسيني
١٨٧	مسجد قُمْرية تخطيطه وعمرانه	الدكتور كاظم الجنابي
١٩٣	جامع المجاهدي في الموصل	نجاة يونس التوتونجي
٢٠١	علماء الرياضيات والفلك في العراق	عباس العزاوي
٢٣٣	مواقع أثرية جديدة في منطقة الفتحة	جابر خليل

التقارير والانباء والمراسلات

٢٤٣	مجموعة تلول الشعيبة	داخل مجهول
٢٤٧	آثار أحرزها المتحف العراقي	كمال عبادة
٢٥٣	الحجارة الاوبسيدية وأصول التجارة (مترجم)	رضا الهاشمي
٢٦٣	في موضوع مسرح ديني سومري (مترجم)	فهد عكام
٢٨٧	منجزات ومشاريع مديرية الآثار العامة	صادق الحسني

مسجد قمرية

تخطيطه و عمرانه

بقلم : الدكتور كاظم الجنابي
مدير الابحاث الاسلامية

معلومات تاريخية عامة :

ان تاريخ العمارة العربية الاسلامية لمدينة بغداد المتقدم في بنائه أو المتخلف أو الذي شيد فيما بعد لا يمكن فهمه أو بحثه من الناحيتين التاريخية أو الاثرية الا حين يجمع جمعا كاملا ثم يدرس في اطار هذا الجمع دراسة فنية منهجية مقارنة مع عمائر أو مباني في بيئات اسلامية أخرى ليظهر وجه التأثر والتأثير والتشابه .

ولما كانت عمائر بغداد المتخلفة لم تنل من الدراسة الاثرية الفنية حتى الآن ما يكشف عن مصادرها الاولى ويبين تطورها في هذه البيئة الاسلامية التي كان لها بلا شك في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية شأن عظيم .

وبالرغم من التقارير والمذكرات التي وضعت لها من بعض غير المتخصصين في تاريخ العمارة العربية الاسلامية وفنونها في العراق ، فان جوانب هامة منها لم تبحث بحثاً فنيا مدققا وبخاصة المساجد التاريخية التي اشتهرت بها بغداد .

من ذلك سنحاول بمنهج وصفي مدقق بحث مسجد من مساجدها الاثرية ذلكم هو مسجد قمرية ، لان هذا المسجد فيما نعلم يمثل نقطة دالة في خطط العاصمة العباسية بغداد كما انه

يعد النموذج الحي لطراز المساجد التي اقيمت في الدور الاخير من عهد الدولة العباسية ، ثم طرأ عليه تعمير وتغيير كما سنذكر ذلك فيما بعد .

موقع المسجد من بغداد وسبب تسميته بقمرية :

يرتسم موقعه في الجانب الغربي من بغداد فوق الضفة اليمنى لنهر دجلة مباشرة في الجهة الشمالية الغربية من جسر « الشهداء » الممتد حديثا بين الكرخ والرصافة .

والمسجد بصورة عامة يحتل رقعة من أرض كانت تعرف قبل بنائه بأسم « قمرية » بضم القاف وسكون الميم ـ حيث ورد اسم « قمرية » في أخبار حصار بغداد سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أو بتوضيح أدق في حوادث الحرب التي وقعت بين الخليفة المقتفي لأمر الله والسلطان السلجوقي محمد بن محمود ملكشاه ، وصاحب المنتظم[١] يقول في حوادث هذه الحرب « ان شباب بغداد كانوا يعبرون الى جند ذلك السلطان بالمقاليع[٢] وزراقات النار فيُرْدون العسكر الكثير ويتلقون النشاب بميازر صوف وكان القتال تحت قمرية وقصر عيسى[٣] ويقول مؤرخنا أيضا « ان علي كوجك من أصحاب السلطان المذكور آنفا ـ نفذ جماعة فوقفوا على قمرية يصيحون الى منكوبرسي الشحنة من أصحاب المقتفي لأمر الله : نفذ رسولا ونودعه رسالة الى أمير المؤمنين »[٤] .

وممن ذكر اسم قمرية عمادالدين الاصفهاني ، حيث بين انه بالقرب من موضع قمرية منجنيقين عظيمين استعملا في الحرب بين جماعة السلطان السلجوقي وأصحاب الخليفة المقتفي[٥] .

الا ان المؤرخ العراقي محمود شكري الآلوسي[٦] يستنبط ان قمرية اسم جارية من أهل بيت الخليفة الناصر لدين الله وهو الذي بنى مسجد قمرية .

والدكتور الباحث مصطفى جواد[٧] في تقرير له يرفض هذا الاستنباط ويذكر ان مسجد قمرية من بناء الخليفة « أبو جعفر المنصور » الملقب المستنصر بالله[٨] ، وكان قد خرج عليه

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج١ ص١٦٩ طبع حيدرآباد ١٣٥٩هـ .

(٢) المقاليع : جمع مقلاع ، ويسمى محذفة ، عرفته الشعوب الشرقية قديما وعرفته مشاة اوربا الى القرن الرابع عشر . اما العرب فكان المقلاع عندهم من لعب الاطفال . دكتور عبدالرحمن زكي السلاح في الاسلام ص٥٧ طبع دار المعارف بمصر ١٩٥١م .

(٣) قصر عيسى : يحدد باحث موضع قصر عيسى في مكان محطة عجلات بغداد الكاظمية المعروفة بالتراموي سابقا وأرض مدرسة الكرخ الثانوية .

دكتور مصطفى جواد : سومر مجلد ٣ ج١ ص٥١ ـ ١٩٤٧م .

وعندنا انه لن يتحدد بعد من الناحية الاثرية ولم يكشف في بغداد أو غيرها حتى الآن قصر باسم قصر عيسى .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج١ ص١٧١ .

(٥) البنداري : زبدة النضره ص٢٢٨ .

(٦) الآلوسي : تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص١١٤ فما بعدها طبع دار السلام بغداد ١٣٤٦هـ .

(٧) سومر مجلد ٣ ج١ (١٩٤٧) ص٥٠ فما بعدها .

(٨) ولد الخليفة المستنصر بالله سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م وبويع له بالخلافة سنة ٦٢٣هـ /١٢٢٦م .

« ثمانية عشر ألف دينار » وان قمرية اسم موضع لا اسم جارية ولا امرأة أخرى ، ولكن لا يمنع من ان يكون الاصل اسما لامرأة كما هو ليس بالقرية كما كنا نسترجحه »[٩] .

ومهما يكن من سبب في تسمية المسجد بـ « قمرية » فانه من أبنية الخليفة المستنصر بالله وليس من أبنية الخليفة الناصر لدين‌الله والنصوص التي تحت أيدينا واضحة وصاحب كتاب الحوادث الجامعة[١٠] المنسوب غلطا لابن الفوطي كما كان يذكر عنه محققه الدكتور مصطفى جواد وكما سمعته عنه ، يقول في حوادث سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م انه وفي شعبان تكامل بناء المسجد المستجد المعروف بقمرية بالجانب الغربي على دجلة المقابل للرباط البسطامي[١١] ، ونقل اليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصليا الشيخ عبدالصمد بن ابي الجيش واثبت فيه ثلاثون صبيا يتلقنون القرآن عليه ورتب فيه مجيد يحفظهم التلاقين ورتب أيضا الشيخ حسن الزيدي محدثا يقرأ عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس ، ورتب أيضا قارىء للحديث ، وجعل في المسجد خزانة للكتب وحمل اليها كتب كثيرة[١٢] .

ويذكر صاحب الحوادث الجامعة انه « قيل للشيخ ناصح‌الدين اسماعيل بن عبدالرحمن بن الزبيدي : قد فرش في مسجد قمرية « زلية » زوليه في وسطها جامات مكتوب فيها « الملك لله » فمضى الى قاضي القضاة عبدالرحمن بن مقبل

(٩) سومر مجلد ٣ ج١ (١٩٤٧) ص٥١ .

(١٠) الحوادث الجامعة : ص ٣ فما بعدها .

(١١) يقول صاحب دليل خارطة بغداد « ان رباط البسطامي كان راكبا ضفة نهر دجلة في ملتقاهما فان كان جامع قمرية القائم الى اليوم مقابلا له دل ذلك على ان موضع رباط البسطامي اما موضع مدرسة الكرخ الثانوية واما موضع المستشفى الجديد وهو أقرب الى المراد لان الارض بينه وبين الجامع لا تزال رملية يصح ان تكون مصبا لنهر عيسى » .

« دكتور مصطفى جواد » دليل خارطة بغداد ١٨٩ فما بعدها طبع بغداد ١٩٤٨) » وتعقيبا على ذلك ان الارض المحوطة بالمسجد من جهة النهر كلها رملية على العادة وتمتد في امتداد ضفة دجلة والى مسافات بعيدة عن المسجد ، والرمل في العادة يأتي في كل فيضان ويتوزع على شاطىء النهر ، فلا يمكث طويلا فيتجدد وينتقل من مكان الى آخر حسب جريان الماء .

فتقدير مصب نهر عيسى طبقا للرمل المتراكم قرب مسجد قمرية مسألة تحتاج الى مسح وبحث أثري مدقق .

وان رباط البسطامي ربما كان موضعه في الجانب القبلي من المسجد لان عبارة المقابل في نص صاحب الحوادث الجامعة توحي بذلك وان مدرسة الكرخ الثانوية وموضع المستشفى الجديد يقعان حاليا في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد وليس في قبلته .

(١٢) الحوادث الجامعة ص٤ .

تعقيب ـ يقول جرجي زيدان « ان مكتبة جامع القمرية أغلب كتبها سرقت وما بقي منها مبذول لا يؤبه له » ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص١٢٢ طبع مصر ١٩٣٧م وقد علق الاستاذ محمد بهجت الاثري حول هذا القول ما نصه « كتب الأب انستاس الكرملي ببغداد فصلا مقتضبا عن خزائن كتب العراق نشره جرجي زيدان في كتابه المذكور آنفا ، وقد زعم فيه ان في جامع القمرية خزانة سرقت أغلب كتبها ـ كذا ـ .

وهذا وهم من جملة اوهامه الشائعة فانه ليس في هذا الجامع خزانة ولا كتاب وانما الخزانة هي في المدرسة القمرية شرقي جامع القمرية وقد بادت ولم يبق منها لا نفيس يؤبه به له ولا مبذول لا يؤبه له » .

الواسطي وطلب اليه ازالة ذلك فقال له : هـذا المسـجد ـ أي قمـرية ـ امـره مردود الى شمس‌الدين أحمد بن الناقد وكيل المستنصر بالله فمضى اليـه وقال لـه في ذلك فلم يلتفت اليه ، فخرج على فوره ومضى الى المستنصر بالله وكان في ناحية الصالحية بنهر عيسى لاجل الصيد ، وكان الزمان شاتيا فوصل اليه ليلا فقرأ شيئا من القرآن المجيد ، فلما سمع المستنصر صوته أنفذ اليه من سـأله عن حاله ، فذكر ما عنـده فأمر الخليفـة الوكيل بازالة ذلك وانكر الحال عليه ثم سئل الشيخ ناصح‌الدين هل من حاجـة غير هـذا ؟ فقال لا ، وعاد على الفور والبرد شديد »[١٣] .

ونخرج من هـذه النصوص ان مسـجد قمرية كان قـد شيد في زمن الخليفـة العباسي المستنصر بالله سـنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م وانـه كان مدرسـة للعلوم الدينية فضـلا الى كونه مسجدا للصلاة على العادة في غاية تشييد المساجد وكثرتها في بغداد .

ولما كان مسجد قمرية قد شيد على ضـفة دجلة وخشية من طغيان الميـاه عليـه في موسم الفيضان ، فقد اقيمت له مسناة منيعة تدفع ما قد يتسبب لبنائه من كوارث ، ولكن في سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م سقطت كمـا يقـول صـاحب الحوادث الجامعة ، نصف **مسناة** مسجد قمرية فعمل لـه سكر من خشب وطرفاء فما زال على ذلك الى ان عمره الصاحب علاءالدين ملك الجويني سـنة سبع وستمائة »[١٤] .

ثم بقي مسجد قمرية بعد ذلك الى العهـد العثماني وفي هـذا العهـد خضع لاعمال الترميم والصيانة والتجديد لاهميته التاريخية والثقافية .

ففي عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م قام والي بغداد دلي حسين باشـا بترميـم قبـابة وتقـوية بعض جدرانه[١٥] ثم تناولته بالصيانة والتعمير السيدة عائشة بنت أحمد باشا سنة ١١٧٩هـ/١٧٠٥م كما ورد ذلك في نص كتـابي مثبت في أعلى مدخل جدار المؤخرة الشرقي ، قوامه أربعة أسطر مدونة على آجر مزجج باللون الازرق الداكن نصها :

(١) « قد بنيت هذا البناء المحكم العالي الرصين عائشة خانم ذات الدار أم المؤمنين زوجـة المنصور مولانا امام المسلمين عمر الباشـا أبو الخطاب ذو الدار المتين » .

(٢) « وابنته المرجو مولانا المجدد الوزير أحمد الافعال والاعمال والعقل المكين جددت ذا الجامع الحاوي بتكرار السنين وبنتيه بيننا لم يكن في السالفين » .

(٣) « خلد الله لهـا الحكم علينا بسرور وهنـا وحباهـا كل خـير بالرفـاه والبنين وابدر الخلد غلالها قدر النسـا جاعلا منزلها من نساء المرسلين » .

(٤) زال غبا والجور والتقى ذا انشد في تاريخه وفـاز بالجنـة بيت يا رب العـالمين في ١١٧٩هـ » .

ومن جملة أعمـالها أيضـا تعمـيرها مكان الوضوء وقد سجل هذا التعمير في ثلاثة أبيات من

---

(١٣) الحوادث الجامعة ص ١١٨ .
(١٤) نفس المصدر ص٣١٩ .
(١٥) سـومر مجلـد ٣ ج١ (١٩٤٧) ص٥٢ .

الشـــعر كانت مثبتة على أحـــد جدران دونها الى أن أتم الصنع قلت مؤرخا

الآلوسي على النحو الآتي :ـ

سعيد مقيمـا جامع القمرية(١٦)

« وعائشة الخير قـــد عمرت

مكان الوضـوء فضاهى قصـورا

واجرت بـــه من نمير المياه

زلالا يروى العطاش دهـورا

بمتجـــر ايمانهـــم أرخـــوا

سقاهم ربهم شرابا طهورا »(١٦)

ولا اثر لهـذه الابيات اليوم فقـد انتزعت وضاعت نتيجة التخريب الذي طرأ على مكانهـا وبالنظر لاهمية مسـجد قمرية بمكان فان والي بغداد سعيد باشـا تداركه بالتعمير والبناء سـنة ١٢٣٠هـ/١٨١٤م كما ورد في نص كتابي مدون على حجرة مثبتة في أعلى المحراب نصها :

« جوامع ذكـر الله بالخـير اسست

ولا زال بانيهـا يبـوء بنعمـــة

فيـا مسجدا من بعدها عرصاته

تعفت على طول المدى فاقشعرت

وصارت حضيضا يحجل الطير فوقها

وأركانه أقوت وبالذكر هـدت

بنـــاه وزير العدل ثم أجاده

برصف له الاهرام دانت فذلت

وزير باعبـاء الخلافـة قائمـــا

تراه سليمان الوزير الخليفه (؟)

حباه (سعيد) أسعد الله نصره

واسـعدنا فيـه بأحسن سـيرة

تخربت ظلته الشمالية الشرقية وكانت على ما يبدو من اسسها المتخلفة : مرفوعة على عمـد وكانت تلك الاعمدة تقوم على قواعد حجرية من النوع المعروف « بالكرانيت » وما زالت هذه الاحجار باقية في مكانها الى الآن .

وفي صـيف عـام ١٣٥٩هـ ١٩٤١م جـدد المسجد وطليت بعض جـدره الداخلية بالجص وبعض المواد المقوية وشمل هذا التجديد شرفة المئذنة أيضا .

وفي ايجـاز ان مسجد قمـرية كما يقول العلامة الآلوسي « اصح مساجد بغداد قبلة ، فيه مصلى واسع تضلله قبة(١٧) رفيعة السمك فيـه منافذ من جهة القبلة وحول القبة مئذنة بيضاء مبنية بالآجر والجص قديمة العهد رصينة البناء(١٨) .

تخطيط المسجد :

يحتل مسجد قمرية رقعة مستطيلة الشكل قياسها ٣١ × ٥ر١٧م أي ان جدار القبلة فيه ٣١ مترا وثخنه (٢م) مدخله يتوسط جدار المؤخرة الشرقي عرضه (٢م) وله مدخل آخر يقع في ركن الزاوية الشمالية الغربية عرضه ٥ر١م ولـه في الجدار القبلي خمسة سبابيك كانت مزينة بزخارف جصية مخرمة ومزينة بزجاج ملون .

كمـا يدل ذلك من الشباك المتخلف فوق المحراب وفي جدار المجنبة الغربي شباك واحد واثنين في جدار المؤخرة الشرقي .

---

(١٦) مساجد بغداد ص١١٥ .

(١٧) ليس لهذا المسجد قبة كما وصلنا اليـوم ولكـن الذي فيـه قباب دائرية صغـيرة واطئة .

(١٨) مساجد بغداد ص١١٤ .

تتوسط أرض المسجد دعامتان ثخن كل منهما ٢ر٨ × ٢ر٤م تحمل عقود قليلة التدبب تنتهي من الاعلى بقباب دائرية صغيرة واطئة •

يتوسط الجدار القبلي محراب سعته متر واحد وعمقه ٥٠سم وهو أصح المحاريب قبلة أو درجة في بغداد •

ويقع على يمين المحراب منبر بسيط •

اما المقصورة أو « المحفل » فتقع فوق المدخل الرئيس للمسجد ويرقى اليها بسلم يقع على يسار الداخل •

وأما بناؤه ، فالمسجد بأكمله مشيد بالجص والآجر وجدره الداخلية من الاسفل كانت مبطنة بالرخام بارتفاع متر تقريبا •

ومن ملحقات المسجد زيادة تقع بامتداد الركن الجنوبي الغربي قياسها ٥ر٥ × ١٧م ويوحي بناء هذه الزيادة انها متأخرة عن بناء المسجد وذلك لاختلاف الآجر ومتصل بالمسجد عن طريق باب ولها محراب في الوسط •

وكانت هذه الزيادة قد اقيمت بالضرورة لازدحام المسجد بالمصلين والمبنى يعرف حديثا باسم مصلى الشافعية • ولها أيضا من الخارج محراب صيفي ولها ظلة محمولة على عمد خشبية •

المئذنة :

تقع مئذنة مسجد قمرية لصق جدار المؤخرة الشرقي في موضع وسط منه ، بمسافة ٥٥/٦م وتقوم المئذنة على قاعدة مربعة أقرب الى الشكل المستطيل قياس ٥/٣ × ٥/٣ × ٨/٢م وينحرف ركناها مقدار ٣٠سم الى الداخل • وترتفع هذه القاعدة عن مستوى الارض بمقدار ٥/٣م ثم تنحسر من الاعلى بهيئة مضلعات يقوم عليها بدن اسطواني ارتفاعه ٧٠/٨م فيكون طول بدن المئذنة من القاعدة الى نهاية الشرفة ٧٠/١١م وشرفة المئذنة مجددة جددت فيما نعلم سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤١م محيطها ١١/٦م ، ومن وسط هذه الشرفة ينحسر البدن وينتهي بقمة المئذنة وقطر هذا البدن ٤م وبعده عن الشرفة ٥٠سم وارتفاعه ٥/٦م تقريبا • ومما يلاحظ ان المئذنة قد اعتراها تعمير وتغير حيث ان ضخامة البدن والقاعدة من الاسفل لا ينطبق وقسمها الاعلى ثم ان قمة المئذنة تضم كسراً مختلفة من الآجر المزجج • وبصورة عامة فان المئذنة مشيدة بالآجر والجص الى قمتها والآجر فيها مرصوف بهيئة مربعات تضم آجرا مزججا بلون أزرق غامق • على النظام المعروف محليا بأسم (العليات) وهذا النوع من البناء يمكن ملاحظته في مئذنة « ناطانز »[١٩] في ايران والتي يرتقى تاريخها الى سنة ٧٢٥هـ/١٣٣٤م •

ويمكن الطلوع الى المئذنة من سطح المسجد عن طريق سلم حلزوني يدور في باطنها[٢٠] •

تقع مئذنة مسجد قمرية لصق جدار

---

(١٩) Pope (Arthur U.) A survey of Persian Art. Vol. 4 Oxford 1939.

(٢٠) جميع المصورات من تصوير الكاتب •

(*) كتب هذا البحث سنة ١٩٦٩ وفي عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ جرت تعميرات وتغيرات كثيرة في هذا المسجد وجعلت مؤخرته بهيئة عقود مختلفة سوف تملىء بالزخارف الآجرية كما وسع بيت الصلاة بعد ضم مصلى الشافعية كما صبت قاعدة المئذنة وبعض جوانب أخرى من المسجد بحيث أصبح تخطيطه بعد التجديد يبتعد عن وصفنا وكل هذه التعميرات اقيمت من قبل رئاسة ديوان الاوقاف » •

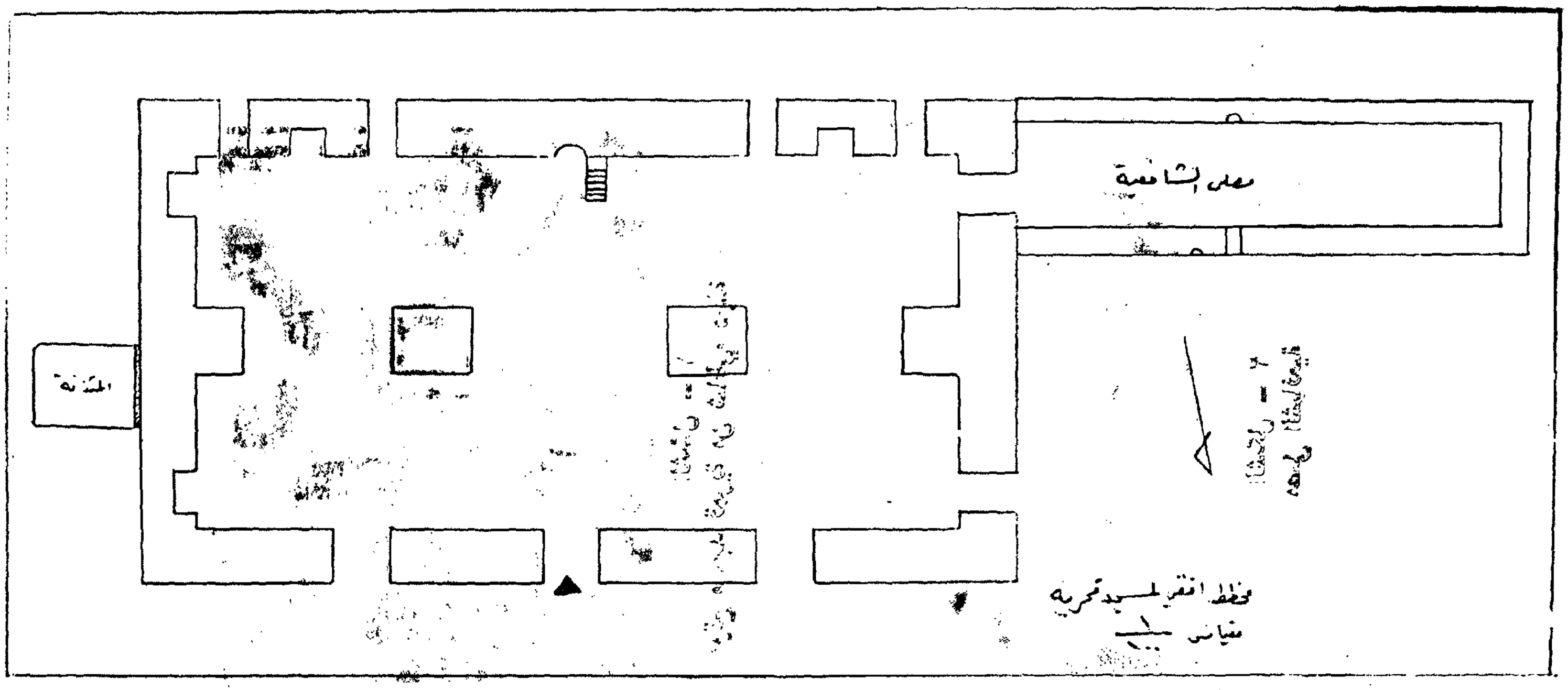

مخطط افقي لمسجد قمرية

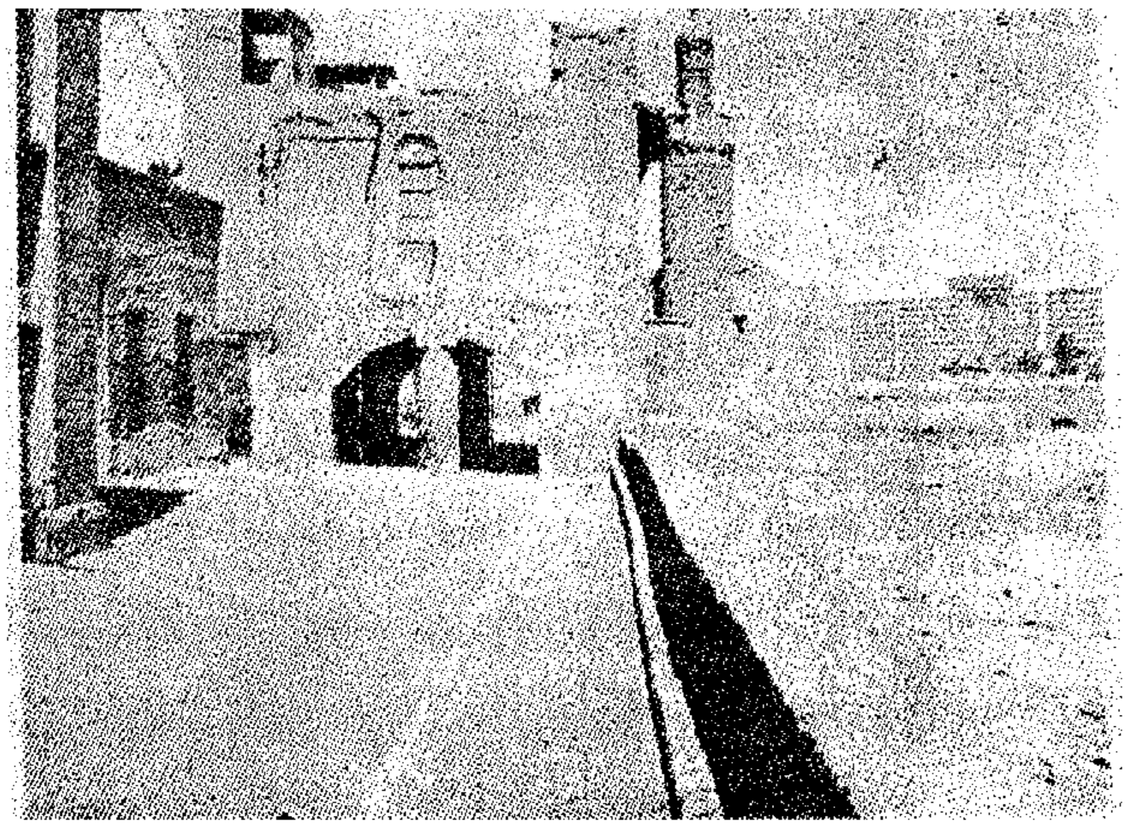

الشكل ـ ١
موقع مسجد قمرية من شاطيء دجلة

الشكل ـ ٢
مصلى الشافعية

الشكل ـ ٣
واجهة مسجد قمرية المطلة على دجلة

الشكل ـ ٤
بقايا اسس ظلة المسجد

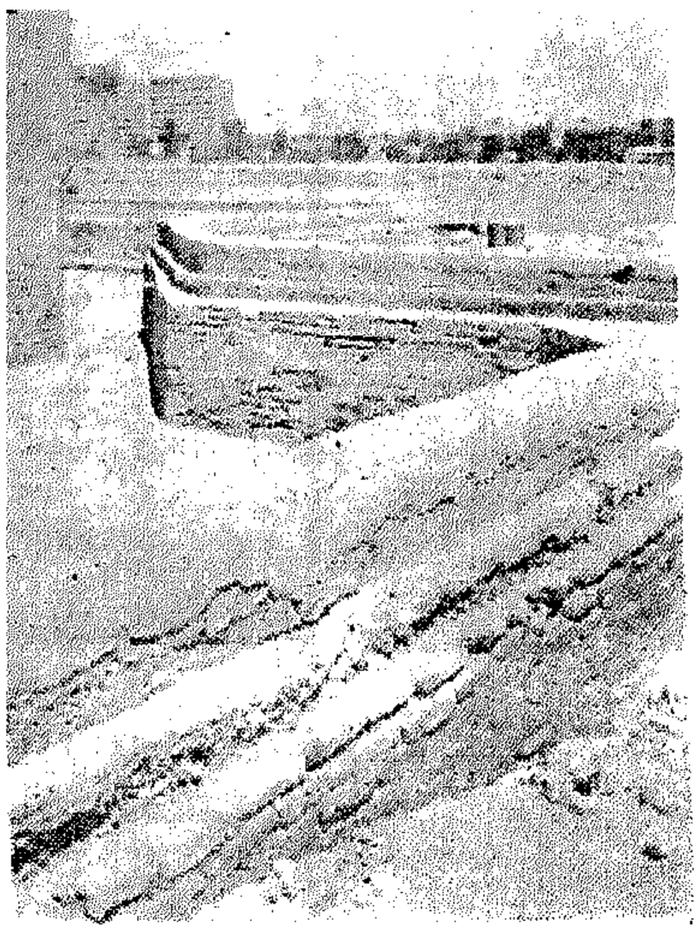

الشكل ـ ٥
سور المسجد من جهة دجلة

الشكل ـ ٦
كتابة على الآجر المزجج فوق باب مسجد قمرية

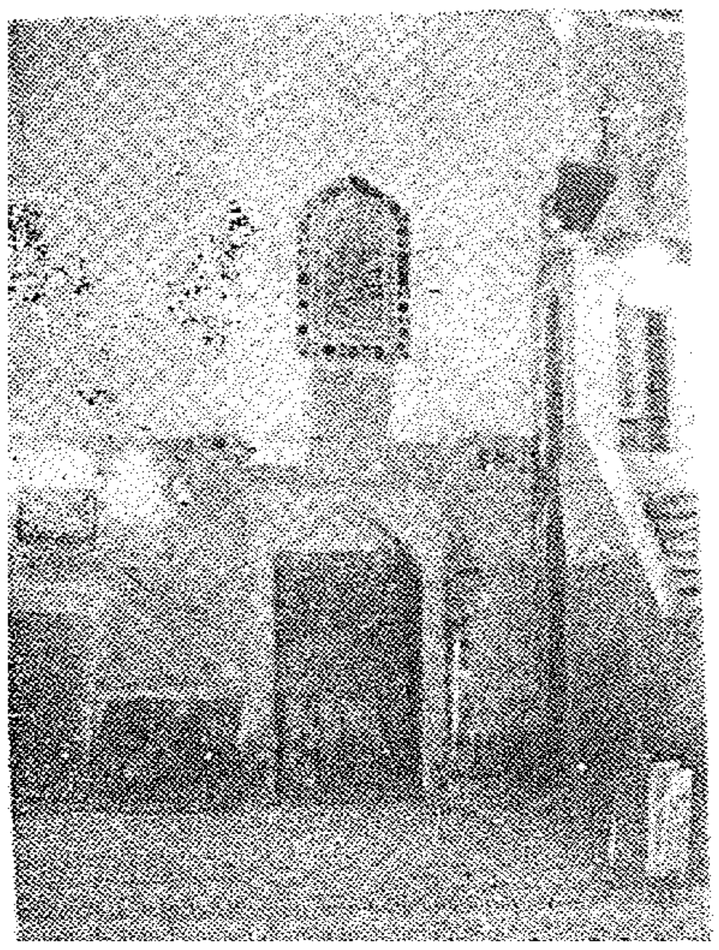

الشكل ـ ٧
محراب مسجد قمرية وجانب من المنبر

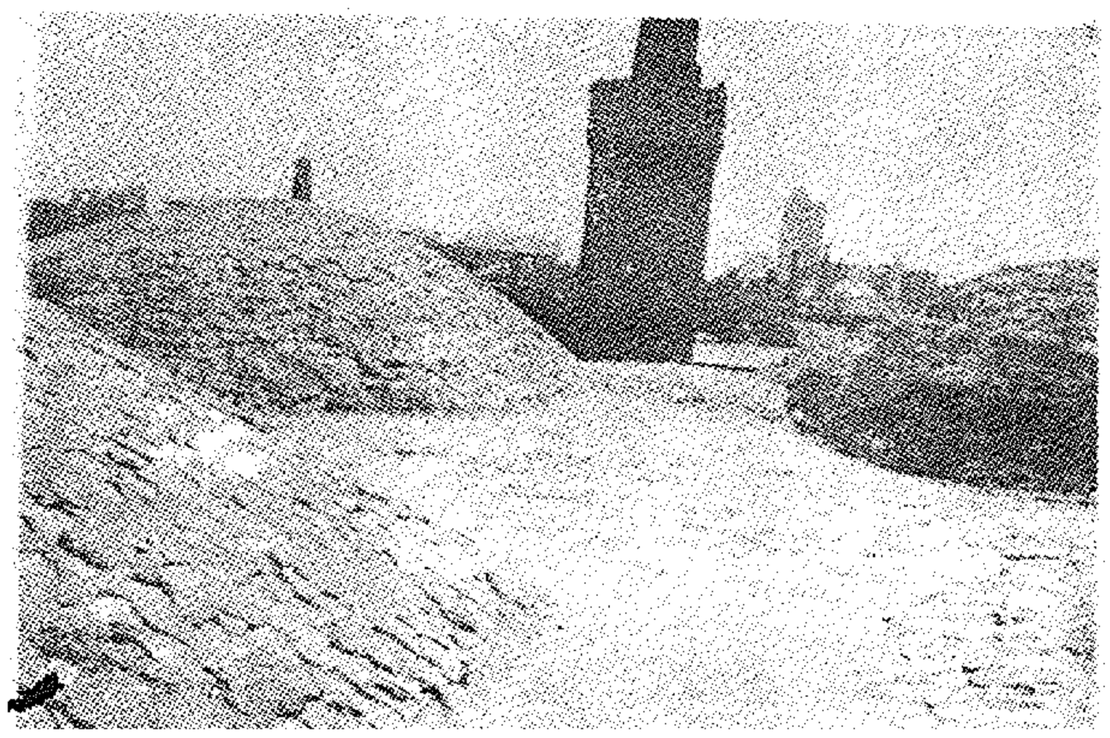

الشكل ـ ٨
قباب مسجد قمرية

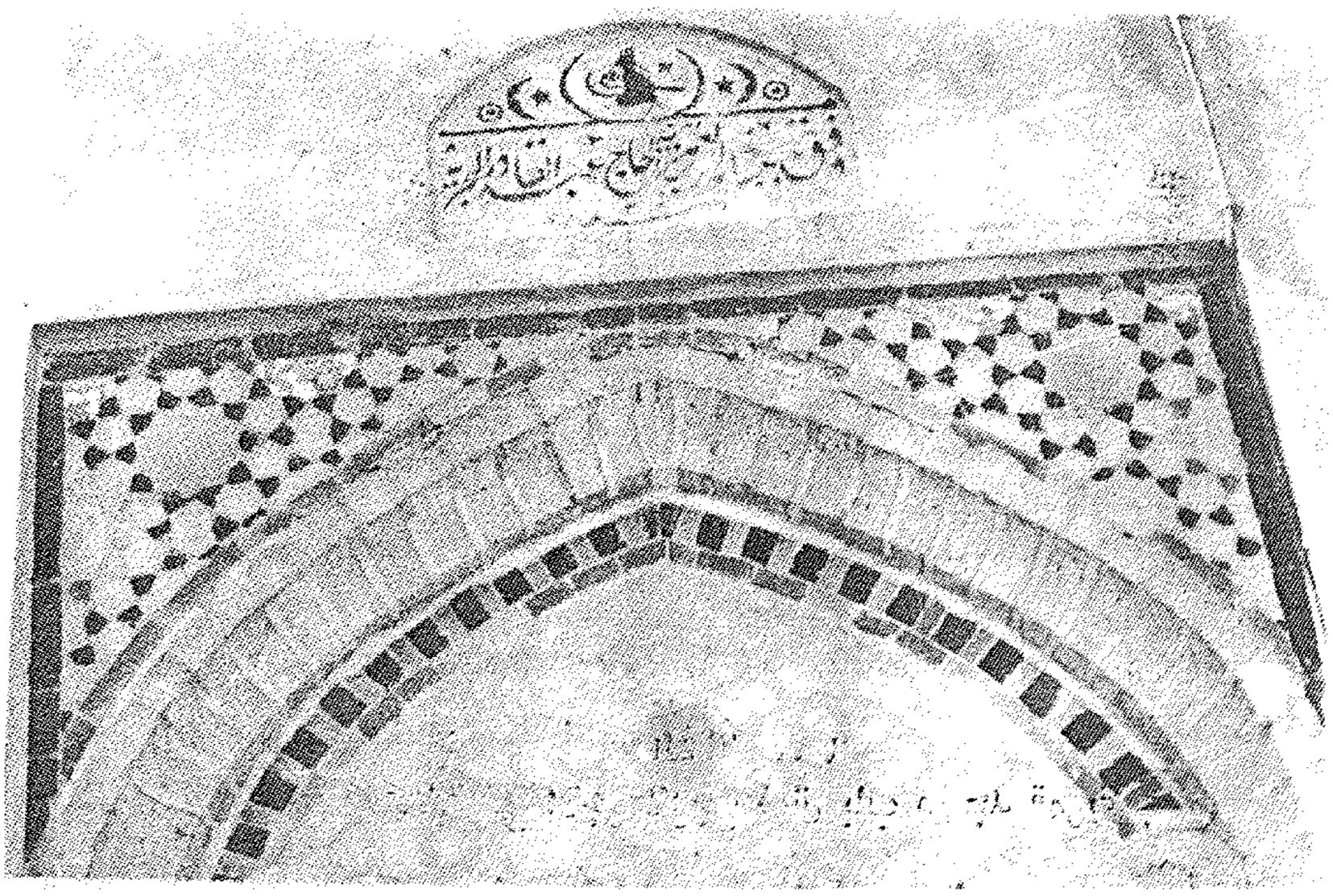

الشكل ـ ٩
زخارف مدخل المدرسة العمرية (الحاج عبدالقادر البحرية) شيدت سنة ١٣١٩هـ
قرب مسجد قمرية على يسار الداخل ٠

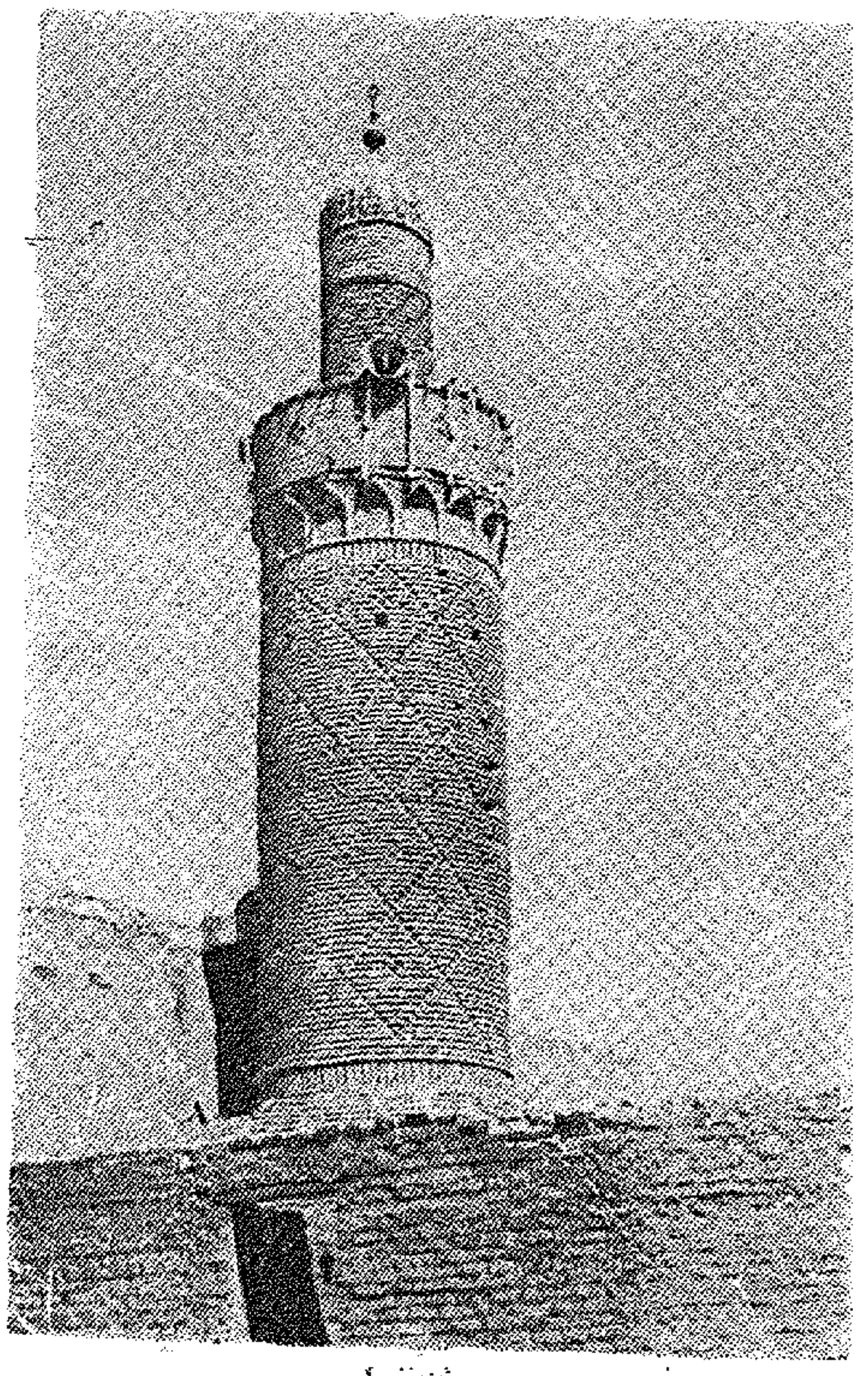

الشكل ـ ١٠
مئذنة مسجد قمرية

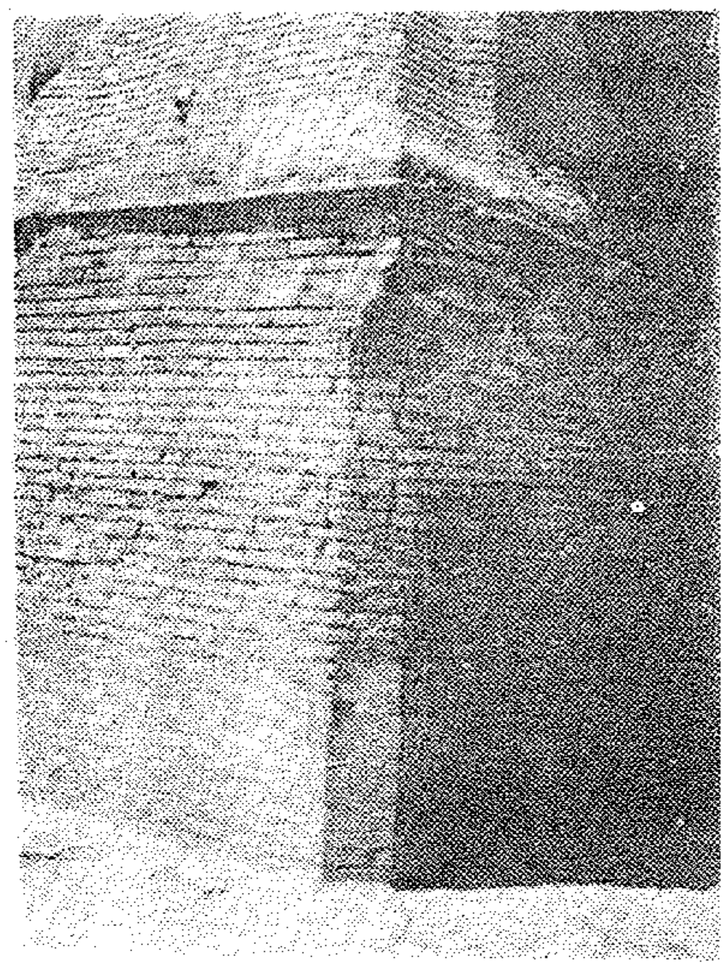

الشكل ـ ١١
قاعدة مئذنة مسجد قمرية

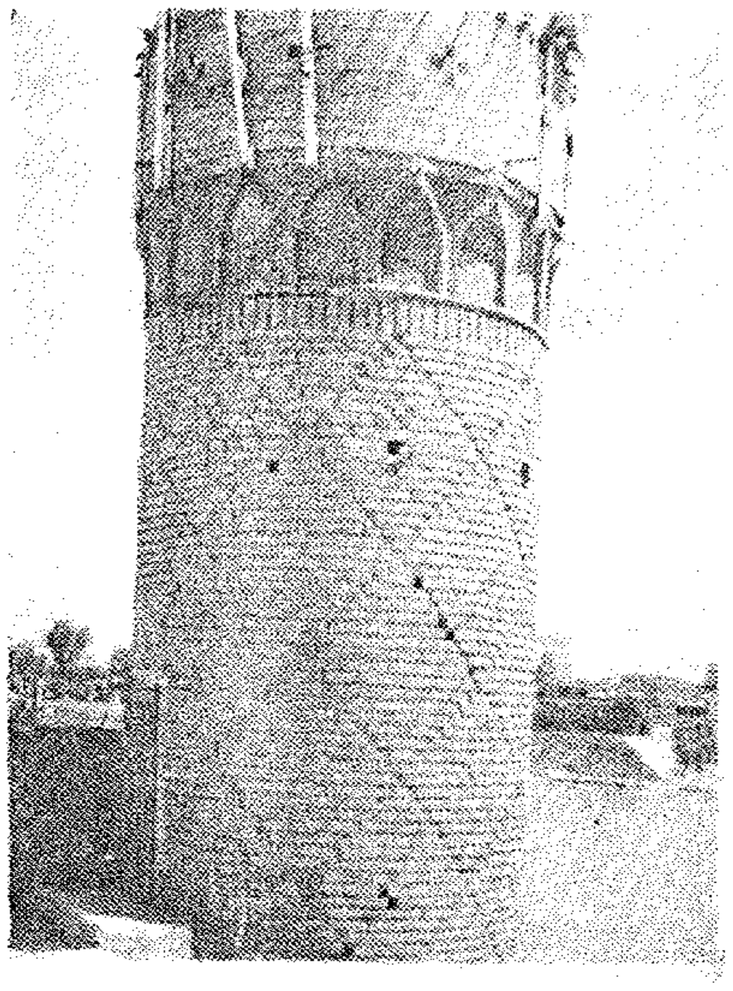

الشكل ـ ١٢
جانب من بدن مئذنة قمرية

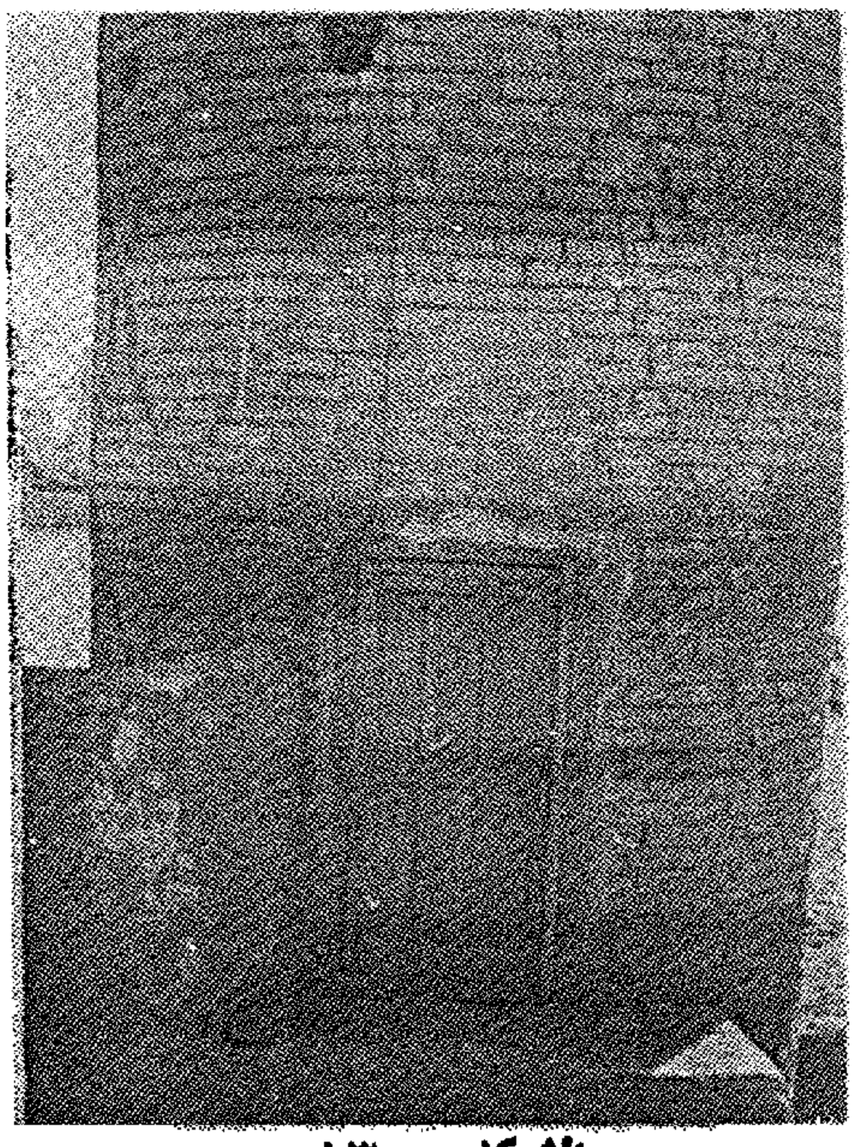

الشكل ـ ١٣
مدخل مئذنة مسجد قمرية

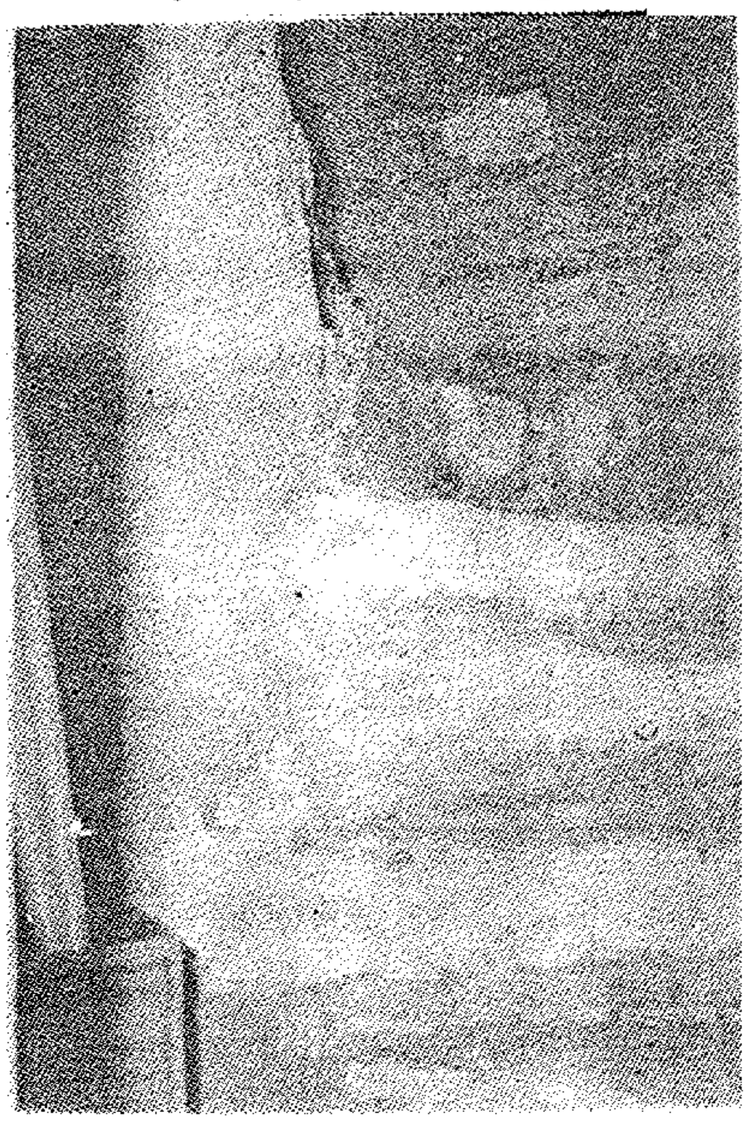

الشكل ـ ١٤
سلم مئذنة مسجد قمرية من الداخل